

## صورة عاد في الشعر الجاهلي

د. أنور أبو سليم

جامعة مؤتة

رَبَطَ بَعْضُ الْمَوْرِّخِينَ الْعَرَبِ الْقَدَمَاءِ الْأَحْدَاثَ السِّيَاسِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ بِمِشَاعِرِ الْإِنْسَانِ وَأَفْكَارِهِ وَطَمُوحَاتِهِ، فَرَدَّدُوا الْأَشْعَارَ وَالْخُطَبَ وَالْأَمْثَالَ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْمُنَاسَبَاتِ وَالْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَتَنَبَّهُوا عَلَى أَهْمِيَّةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَفْعَلُ بِالْحَدِيثِ وَيَحْسُهُ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ؛ فَسَجَّلُوا كَثِيرًا مِنْ حِكْمِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَمِشَاعِرِهِمْ شِعْرًا وَنَثْرًا، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَوْرِّخِينَ اتَّخَذُوا مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْقَصَصِ وَثَائِقَ يُمْكِنُ بِوَسَائِطِهَا أَنْ يُفْنَعُوا الْقَارِئَ بِصِحَّةِ الْخَبَرِ، لِأَنَّ الشَّعْرَ اتَّخَذَ دَلِيلًا عَلَى الْخَبَرِ وَشَاهِدًا عَلَيْهِ يُسَاقُ مَعَهُ لِيُؤَكِّدَهُ. وَمِنْ هَذِهِ الزَّوَايِءِ كَثُرَ النَّحْلُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْقَدَمَاءِ، وَحَمَلَ رُؤَاةَ الْأَخْبَارِ غُنَاءً كَثِيرًا مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي يَزِيدُ الْخَبَرَ ضَعْفًا أَكْثَرَ مِمَّا يَزِيدُهُ صِدْقًا وَإِشْرَاقًا وَإِحْسَاسًا، وَغَابَ دُورُ الْإِنْسَانِ فِي صِنَاعَةِ التَّارِيخِ. وَهَذِهِ أَوَّلُ عَقَبَةِ تَوَاجِهِ مَنْ يَبْحَثُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْمُورُوثِ الثَّقَافِيِّ الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّ الشَّعْرَ أحيانًا فِي كُتُبِ التَّارِيخِ تَرْجُمَةُ حَرْفِيَّةٌ مُصْطَنَعَةٌ لِلرَّوَايَةِ التَّارِيخِيَّةِ.

والعقبة الثانية: أن الموروث الثقافي عند العرب مزيجٌ من التاريخ والمعتقدات الدينية والخرافية والقصاص، والأمثال والأساطير، والخرافات، والملاحم الشعبية، ومن خلال ذلك يبرز الشعرُ خافتاً باهتاً مُجْتَزِئاً. وكثيرٌ من الأحداث والأساطير والقصاص، لم يُدَوَّنْ إِلَّا فِي فِتْرَةٍ مُتَأَخَّرَةٍ، وَلَقِيَ مِنَ الْمَوْرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ الْإِهْمَالَ وَالتَّقَدُّ، وَكَانَتْ الْأَحْدَاثُ - غَالِبًا - تَخْضَعُ لِمَنْطِقِ الْمُفَسِّرِينَ وَقِيَمِهِمْ خِدْمَةً لِكِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، مُهْتَمِّينَ بِالْعِظَّةِ وَالْعِبْرَةِ مِنْ مُجْمَلِ الْأَحْدَاثِ. وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ الصُّورَةَ الْقَدِيمَةَ لِلْقَصَصِ التَّارِيخِيِّ هِيَ نَفْسُهَا الصُّورَةَ الَّتِي رَوَاهَا الْمَوْرِّخُونَ

المسلمون في القرن الثاني الهجري والقرون التالية؛ فقط أُسْقِطَ منها ما يَتَنَافَى وقيَم الدِّين الإسلامي الحنيف وما يتعارض ومبادئه، وبقي من تراث الإنسان الجاهلي قَلِيلٌ من الأساطير والخرافات تكشف عن إنسان مُشَوَّهٍ لا ثقافةً لديه ولا حَضَارَةً، فَوَسِمَ بِالْجَهَالَةِ، وَوَصِمَ بِالْانْحِطَاطِ، وَنُعِتَ بِالْأُمِّيَّةِ.

وجاء القرآن الكريم يتحدثُ إلى القوم عن عادٍ وثمودَ والأُمم الماضية، وما أَلْفُوا من ثقافات وما وَعَا من حَضَارَاتٍ، ولم تكن طَرَافَةَ أخبار الأُمم القديمة مقصودة لذاتها، ولم يأت القرآن الكريم ليُضِيفَ معلوماتٍ جديدةً إلى تاريخ العَرَبِ، وإنَّما كان الهَدَفُ العِظَةُ والعِبْرَةُ والتَدَبُّرُ، ولو جاءهم بأخبار لم يسمعوا بها ولم يعرفوها لأنصَرَفَتْ عنايتهم إلى دَحْضِهَا ومناقشتها وإنكَّارها، ولم نسمع أَنَّ وَثَنِيَّي العَرَبِ ناقشوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مدى صِحَّةِ الأخبار القرآنية؛ لأنَّهم يعرفونها بصورة مطابقة أو قريبة من التصوير القرآني لها، ولديهم - في مواضع معينة - معلومات أكثر تفصيلاً ممَّا جاء في الذِّكْر الحَكِيمِ.

ولا شَكَّ أَنَّ موروثاتهم عن الأُمم القديمة لم تكن تَأْرِيخاً مَحْضاً، وكانت أشعارهم عندما يتحدثون عن الأُمم السالفة يختلط فيها التاريخ بالخيال والمعتقدات الخرافية والأساطير والرؤى الشعرية. وهذه مهمة الشاعر الحقيقية كما يرى أرسطو<sup>(١)</sup>: "صانع حكايات وخرافات أكثر منه صانع أشعار". والشاعر الجاهلي كان يَزْتَدُّ كثيراً إلى الموروثات الثقافية والحضارية فَيُعِيدُ صياغتها، ويُعَبِّرُ من خلالها عن رُؤَاه وتَصَوُّراته للحياة والكَوْنِ والوُجُودِ.

ونحنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ الشاعر الجاهلي يُعَدُّ من صفوة المجتمع، وأنَّه كان - أحياناً - حَكِيم القَبِيلَةِ ومُتَقَفِّها، وكاهنها، وأنفذها إحساساً، وأقدرها على نقل مشاعره وتجاربه وثقافته ومعلوماته وتحويل المادة التراثية إلى مادة أدبية؛ لذلك كان البَحْثُ

---

(١) أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م.

عن صورة عاد في الشعر الجاهلي مُقدِّمةً صالحةً لبحثٍ أشْمَلَ وأوسعٍ في علاقة الشعر الجاهلي بالموروثات الثقافية، وله أهمية خاصة؛ لأنه يكشف عن المُكوّنات الثقافية للأُمَّة العربية من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى يكشف عن ثقافة الإنسان الجاهلي وطرائق تفكيره عندما يَرْتَدُّ إلى الحضارة التي مرّت بها الأمم القديمة، ويدفع من جانب آخر شكوك بعض المستشرقين والباحثين في حقيقة وجود (عاد) التي عدّها بعضهم في زُمْرة الأَقوام الخُرَافِيَّة التي ابْتَدَعَتْهَا مخيلة الرُّواة.

انصَلَحَ المؤرِّخون على تسمية "عاد وثمود وطسم وجديس" العرب البائدة، ولعلَّ هذه التسمية جاءت من الآية الكريمة<sup>(٢)</sup> «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى» وكانت (عاد الأولى) في زعمهم من أعظم الأمم بطشاً وقوَّة، وهم المُشار إليهم في الذِّكر الحكيم. أمَّا عاد الأخيرة فهم بنو تميم وينزلون برمال عالج<sup>(٣)</sup>.

وكان أمر عادٍ عند العرب في الشُّهرة في الجاهلية والإسلام كشُهرة إبراهيم وقومه كما يقول الطُّبري<sup>(٤)</sup>. لذلك بقوا في ذاكرة أهل الأخبار؛ لأنَّهم - كما يقول جواد علي<sup>(٥)</sup> - عاشوا بعد ميلاد السيِّد المسيح، ونباهم هود عليه السَّلام.

وسكنت عاد الأولى في الأحقاف بين حضرموت واليمن، وقيل: في موضع بئر (إزم) في منطقة حسمى بين أيلة وسيناء<sup>(٦)</sup>، وزعم المؤرِّخون أنَّ (إزم)

(٢) سورة النجم، الآية ٥٠-٥١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، الدار المصرية للتأليف (د. ت) مادة (علاج).

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٧١١هـ): تاريخ الطبري، المطبعة الحسينية ١٣٢٦هـ، ج ١ ص ٢٣٢.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨، ج ١، ص ٣٠٠.

(٦) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م، ج ١ ص ١٩٦.

المذكورة في القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» مدينة من عهد عاد بين عدن وحضرموت، وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية<sup>(٨)</sup>. ويُفهم من القرآن الكريم أنَّ مساكن (عادٍ) بالأحقاف، قال تعالى<sup>(٩)</sup>: «وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ» والأحقاف: الرَّمْلُ بين اليمن وعُمان إلى حضرموت والشَّحْر، وقيل: رمال بأعيانها في أسفل حضرموت<sup>(١٠)</sup>. وينسبون إلى عاد ولداً اسمه "شَدَّاد" نَسَجُوا حوله قِصصاً خيالية<sup>(١١)</sup>.

وإذا عُدنا إلى الشعر الجاهلي لننلَمَس موروثة العرب الثقافية عن قوم عاد فسندجدها متشعبة كثيرة، تمتزج فيها الحقيقة بالأسطورة، والواقع بالخيال، وللشعراء رموزٌ ورؤى شعرية فيما يُروى عن الأقدمين تصدر عن صورٍ موحدة، وأنماطٍ من التفكير مُتشابهة.

## (١)

تَخَيَّل الجاهليون عاداً أمة قديمة جداً، بل هي أقدم الأمم، فقالوا في أمثالهم<sup>(١٢)</sup>: "أَفَدَمَ من عاد" ودخلت "عاد" في الحسِّ اللُّغوي العربي لتمثِّل القِدَم

---

(٧) سورة الفجر، الآية ٦-٧.

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٩) سورة الأحقاف، آية ٢١.

(١٠) ابن منظور، اللسان، مادة (حقف).

(١١) قصة شداد بن عاد، لمؤلف مجهول، مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩

مجاميع.

(١٢) القالي، كتاب أفعال من كذا، حققه: محمد بن عاشور، تونس، ١٩٧٠م ص ٧٤.

وَبُعَدَ الْعَهْدَ، وَتَطَاوَلَ الْأَمَدُ، فَيَقُولُونَ: "عَادِيٌّ" وَ "إِرْمِيٌّ" عِنْدَمَا يَنْسَبُونَ شَيْئاً إِلَى الْقَدَمِ، كَالْأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ، وَالْبَيْوتِ الْقَدِيمَةِ، وَالْأَبَارِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (١٣)

وَكَمْ نَادَيْتُهُ فِي قَعْرِ سَاجٍ بِعَادِيٍّ الْبَيْارِ فَمَا أَجَابَا

وقال آخر (١٤):

دَعَوْتَاهُ مِنْ عَادِيَّةٍ نَضَبَ مَاؤُهَا وَهَدَمَ جَالِيَهَا اخْتِلَافَ عُصُورِ

وجعل عمرو بن معد يكرب "السَّاعِدَ" عادياً طويلاً مفاصل الأصابع، قال (١٥):

لَهُ هَامَةٌ مَا تَأْكُلُ الْبَيْضَ أُمَّهَا وَأَشْبَاحُ عَادِيٍّ طَوِيلِ الرَّوَاجِبِ

وَالْبَيْتُ الْعَادِيُّ: الْقَدِيمُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ بِأَنِيهِ، وَكَأَنَّهُ مِنْ مُخَلَّفَاتِ قَوْمِ عَادٍ، وَالْعَرَبُ يَرْمُزُونَ بِالْبَيْوتِ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَآثِرِ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرَفِ، قَالَ أَبُو الْبُرْجِ، الْقَاسِمُ بْنُ حَنْبَلٍ: (١٦)

فَأَمَّا بَيْنُكُمْ إِنْ عُدَّ بَيْتٌ فَطَالَ السَّمُكُ وَاتَّسَعَ الْفِنَاءُ

---

(١٣) الألويسي، محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ج ٣ ص ٣.

(١٤) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤.

(١٥) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الديوان، تحقيق: مطاع الطرابيشي، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٤م، ص ٥١، وانظر قول كثير "به قلب عادياً وكُرُور" لسان العرب، مادة (عود).

(١٦) المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ): شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين وعبد السلام هارون، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣م، ج ٤، ص ١٦٥٩.

وَأَمَّا أُسُّهُ فَعَلَى قَدِيمٍ مِنَ الْعَادِيِّ إِنْ ذُكِرَ الْبِنَاءُ

وقال عامر المحاربي<sup>(١٧)</sup>:

وَنُرْسِي إِلَى جُرْثُومَةٍ أَدْرَكْتُ لَنَا حَدِيثًا وَعَادِيًّا مِنَ الْمَجْدِ خِضْرِمًا

وبذلك فسروا قول الحارث بن حِزَّة اليشكري<sup>(١٨)</sup>:

إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتْ الْجِـ \_\_\_\_\_ نُنْ فَأَبَتْ لِحَصْمِهَا الْأَجْلَاءُ

نسبة إلى إرم عاد، أي: مُلْكُهُ قَدِيمٌ كَانَ عَلَى عَهْدِ عَادِ إِرَمَ، وقال بعضهم: كَأَنَّ هَذَا الْمَمْدُوحُ مِنْ إِرَمِ عَادٍ فِي الْحِلْمِ، كَمَا قَالَ الْأَغْلَبُ الْعَجَلِي<sup>(١٩)</sup>:

جَاءُوا بِشَيْخِيهِمْ وَجِئْنَا بِالْأَصَمِّ شَيْخٍ لَنَا كَانَ عَلَى عَهْدِ إِرَمِ

وقال آخرون: ذهب إلى أَنَّ جِسْمَهُ وَقَوْتَهُ يُشْبِهَانِ أَجْسَامَ عَادٍ وَشِدَّتَهُمْ<sup>(٢٠)</sup> وَيَدَّعُونَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ وَدُرُوعَهُمْ وَتُرُوسَهُمْ قَدِيمَةٌ عَادِيَّةٌ، كِنَايَةٌ عَنْ مَجْدِهِمُ الْمُؤْتَلِّ، وَيَأْسَهُمْ

---

(١٧) المفضل الضبي (١٧٨هـ): المفضليات، حققه أحمد شاكر، دار المعارف ١٩٧٩م ص ٣٢٠.

(١٨) الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ٤٩٢.

(١٩) المصدر السابق، وحماسة ابن الشجري ص ٣٧. وهذا الرجز ينسب إلى عباس الأصم الرُّعْلِي فارس بني سليم في الجاهلية. انظر: ديوان الخنساء بشرح ثعلب، حققه: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن ١٩٨٨م ص ٣٧٧.

(٢٠) المصدر السابق ص ٤٩٣.

القديم، وأنهم ورثوا العِزَّةَ والكَرَامَةَ والتَّضْحِيَةَ عن أجدادهم القدماء، قال راشد بن شهاب اليشكري (٢١):

لِعَادِيَّةٍ مِنَ الرَّمَّاحِ اسْتَعْرَثَهَا      وَكَانَ بِكُمْ فَقْرٌ إِلَى الْعَدْرِ أَوْ عَدَمٌ

وهذا المعنى مكرر في أشعارهم (٢٢):

قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وَسَيْفِي كَانَ عَهْدَ ابْنِ ضَدٍّ      تَخَيَّرَهُ الْفَتَى مِنْ قَوْمِ عَادٍ

وقال الحصين بن الحُمام:

مُضَاعَفَةُ السَّوْدِ عَادِيَّةً      وَعَضْبُ الْمَضَارِبِ مِفْصَالَهَا

وقال زهير بن أبي سلمى:

وَأَخْرَيْنَ تَرَى الْمَازِيَّ عُذَّتَهُمْ      مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَا قَدْ أَوْرَثَتْ إِرْمُ

---

(٢١) المفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٨): المفضليات، تحقيق: أحمد شاکر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م ص ٣٠٩.

(٢٢) انظر: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطرابيشي، طبعة دمشق ١٩٧٤م، ص ٩٣. وشعراء النصرانية قبل الإسلام، جمع: لويس شيخو، دار المشرق، بيروت ١٩٦٧م، ص ٧٣٤ وديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق، بيروت ١٩٨٢، ص ١٢٣. المازي: الدروع اللينة.

وكان للحجارة العاديّة القديمة أهمية بالغة، فقد عبَدَ العَرَبُ الأَنْصَابَ العاديّة وأقسَموا بها، قال المهلهل بن ربيعة<sup>(٢٣)</sup>:

كَلَّا وَأَنْصَابٍ لَنَا عَادِيَّةٍ مَعْبُودَةٍ قَدْ قُطِّعَتْ تَقْطِيعًا

ووصف زهير بن أبي سلمى طريقاً قديماً فقال<sup>(٢٤)</sup>:

وَأَبْيَضَ عَادِيٌّ تَلُوحٌ مُتَوْنُهُ عَلَى الْبَيْدِ كَالسَّيْحِ الْيَمَانِيِّ الْمُبَلِّجِ

ووصف امرؤ القيس إبل رجل بـ"إِرْمِيَّاتٍ"<sup>(٢٥)</sup>:

رُبُّهَا أَوْضَعُ جَزْمٍ وَاحِدًا فِي لِقَاحِ إِرْمِيَّاتٍ رُفْدٍ<sup>(٢٦)</sup>

وقالوا: الإبل العيديّة نجائب معروفة منسوبة إلى عاد،

قال رذاذ الكلبي<sup>(٢٧)</sup>:

ظَلَّتْ تَجُوبُ بِهَا الْبُلْدَانَ نَاجِيَةً عِيدِيَّةٌ أُرْهَنْتْ فِيهَا الدَّنَانِيرُ

---

(٢٣) شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص ١٧٢.

(٢٤) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢١٥.

(٢٥) امرؤ القيس بن حجر (ت ٥٤٠م): الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م، ص ٢١٥.

(٢٦) أَوْضَعُ جَزْمٍ: أَبْحَلَ مَنْ فِي الْحَيِّ، اللَّقَاحُ: النوق التي أتى عليها من حملها شهران أو ثلاثة، الرُّفُودُ: التي تملأ من ألبانها الأرفاد، وهي الأقداح.

(٢٧) ابن منظور: اللسان، مادة (عود).

وإذا وصفوا شيئاً بالخلاء والفقار قالوا: "ما به من إرمٍ وأرمٍ".

قال المرقش الأكبر (٢٨):

أَمَسَتْ خَلَاءَ بَعْدَ سُكَّانِهَا مُقْفِرَةً مَا إِنَّ بِهَا مِنْ إِرْمٍ

وقال زهير بن أبي سلمى (٢٩):

دار لَأَسْمَاءَ بِالْعَمْرَيْنِ مَاتِلَةٌ كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرْمٌ

قال ابن سيده: (٣٠) الإِرمُ والأَرمُ: الحِجَارَةُ، والأَرامُ: الأَعْلَامُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهَا أَعْلَامَ (عاد).

وقال اللحياني: أَرَمِيٌّ وَأَرَمِيٌّ، والأَرومُ: الأَعْلَامُ، وَقِيلَ: هِيَ قُبُورُ عاد. وَعَمَّ بِهِ أَبُو عبيدة، فقال: هي الأَعْلَامُ.

ومن إرمٍ اشْتَقُّوا "الأَرومَةَ" وهي أَصْلُ الشَّجَرَةِ، الراسخ القديم المُوْتَلِّ، وتَعْنِي الشَّرَفَ القديم، والمآثر والحَسَبُ، قال أبو جُنْدَب الهُدَلِي (٣١):

أُولَئِكَ ناصِرِيٌّ وَهُمْ أَرُومِيٌّ وَبَعْضُ القَوْمِ لَيْسَ بِذِي أَرُومٍ

---

(٢٨) المفضل الضبي، المفضليات ص ٢٢٩.

(٢٩) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١١٦.

(٣٠) ابن منظور: اللسان، مادة (أرم).

(٣١) المصدر السابق، مادة (أرم)

وقال الأعشى<sup>(٣٢)</sup>:

مَا فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ      وَفِي أُرُومِهِ مَا مِنْبِتُ الْعُودِ

وقال زهير<sup>(٣٣)</sup>:

لَهُ فِي الدَّاهِيَيْنِ أُرُومٌ صِدْقٍ      وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أُرُومٌ

ويتردد في الشعر الجاهلي ادّعاؤهم ملكية الجبال والجمى، وموارد المياه من عهد عاد، قال أبو دؤاد الإيادي<sup>(٣٤)</sup>:

أَلَا أَبْلَغُ خُرَاعَةَ أَهْلِ مُرٍّ      وَإِخْوَتَهُمْ كِنَانَةَ عَنِ إِيَادِ  
تَرَكْنَا دَارَهُمْ لَمَّا شَرُونَا      وَكُنَّا أَهْلَهَا مِنْ عَهْدِ عَادِ

وقال رجل من طي<sup>(٣٥)</sup>:

وَبِالْجَبَلَيْنِ لَنَا مَعْقِلَانِ      صَاعِدْنَا إِلَيْهِ بِسُمْرِ الصَّعَادِ  
مَلَكْنَاهُ فِي أَوْلِيَّاتِ أَرْمَاءِ      نِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ عَادِ

---

(٣٢) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت ٦٢٤هـ): الديوان، حققه: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م ص ٣٢١.

(٣٣) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١٥٤، وانظر ديوانه أيضاً ص ٢٨٢، ٢٣٢.

(٣٤) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، طبعة الصاوي، مصر، ص ١٧٥.

(٣٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ): الإكليل، تحقيق: محمد ابن علي الأكوغ، بغداد، ١٩٨٠م، ج ١ ص ٩٠.

وقال قبيصة بن جابر: (٣٦)

وَتَيْمَاءُ التِّي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمَيْنَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

وقال بشامة بن حزن: (٣٧)

مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

ورأى بعضُ المستشرقين أنَّ كلمة (عاد) لم تُكُنْ أَسْمَ عَلمٍ في الأَصْل، بل كان يُرادُ بها القَدَم، وأن (من عَهْدِ عاد) و(عاديّ) يعني منذ عهدٍ قديمٍ جدًّا، وأنَّ المعنى هو الذي حَمَلَ الناسَ على وضع تلك الأساطير عن أيام عاد، وهي أقوام خرافيَّة لا أساس لوجودها (٣٨).

---

(٣٦) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د.ت) ج ١ ص ٢٩٥.

(٣٧) أبو تمام، ديوان الحماسة ج ١ ص ١٥٠.

وانظر قول الطرماح من شعراء العصر الأموي:

لنا الجبلان من أزمان عادٍ ومُجْتَمَعِ الألاءِ والعِضَاءِ  
وقول آخر:

تَمُدُّ عليه من يمينٍ وأَسْمَلٍ بُحُورٌ له من عهدِ عادٍ وتُبَعًا

لسان العرب، مادة (عود)

وقبيلة سويد بن أبي كاهل البشكري غَلَبَتْ قوم عادٍ ومِنْ جاء بعدهم: قال:

غَلِبَتْ عاداً ومِنْ بَعْدَهُمْ وَأَبَتْ بَعْدُ فليس تُنْصَعُ

انظر: شعراء النصرانية، ص ٤٣٢.

(٣٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ٣٠٨.

وما أوردناه من أشعار جاهلية يَدْحَضُ هذا الاستنتاج وسيأتي في مواضع من هذا البحث ما يُدَلِّل على معرفة العَرَب بأخبار عاد وقصصهم وأحوال معيشتهم وصفاتهم.

## (٢)

جاء ذكر عاد في القرآن الكريم متّصلاً بتمّود في أربعة وعشرين موضعاً، وأن تمود خَلَقْنَهُمْ في مساكنهم الرِّفْهَةَ وبنيانهم الشامخ، وقصورهم المنحوتة في الجبال، وما تَمَتَّعُوا به رَعْد العَيْش في جَنّات وعُيُون، وزرع ونَخْل فَرهين، وما كان من جُحودهم لآيات رَبِّهم وكفرهم بنبيّ الله (هود)، وأن الله عَذَّبهم بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية<sup>(٣٩)</sup>.

وفي القرآن الكريم ثلاث سور تتّصل ب(عاد): (هُود) و(لُقْمَان) و(الأحقاف). وفي ذاكرة الإخبارين أساطير ومبالغات لا يَقْبَلُهَا العَقْل فيما يتّصل بثناء عاد وما أُوتُوا من نعيم، رَووا أَنَّ شداد بن عاد كان قوياً جباراً سَمِعَ بوصف الجَنَّة فأراد بناء مدينة تَفُوقها حُسناً وجمالاً، فجمع ما في الأرض من ذهبٍ وفضّة ودُرّ وياقوت، فابتنى مدينة (إِرم) باليمن لكنّه لم يتمتّع بها لكَفْرِهِ بِنُبُوّة هود، إذ أهلكه الله وَسَخَقَهُ<sup>(٤٠)</sup>.

ويبدو أَنَّ حكاية شداد بن عاد قد نُسِجت من أخيلة القُصَّاص والمفسرين المسلمين في القرن الثاني الهجري معتمدين على ما جاء في القرآن الكريم وأخبار الجاهليين عن ثناء عاد ويطشهم وشموخ بنيانهم.

---

(٣٩) انظر القرآن الكريم: سورة الأعراف، آية ٦٥، ٧٤، التوبة آية ٧٠، هود آية ٥٠، ٥٩، ٦٠، إبراهيم آية ٩، الحج، آية ٤٢، الشعراء، آية ١٢٣، ص آية ١٢، غافر آية ٣١، فُصِّلَتْ، آية ١٣، ١٥، الأحقاف، آية ٢١، ق آية ١٣، الذّاريات آية ٤١، القمر آية ١٨، الحاقّة آية ٤-٦، الفجر آية ٦، الفرقان، آية ٣٨، العنكبوت، آية ٣٨، النجم، آية ٥٠.

(٤٠) انظر قصة شداد بن عاد، مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى "الصناع" عادٍ وهي حُصُون وقصور منحوتة في الجبال، لكن هذه الأصناع لم تدفع عنهم المنية ولم تقهم غوائل الدهر والمصير المحثوم.

وعندما يعرضون لحتمة الموت وتفاهة ما يختصمون عليه، وبطش الدهر يتعززون بمصائر من قبلهم من الأمم القديمة ذات البأس والشدة، وبمصير عاد "ذوي النعم" و"أصحاب الأصناع" و"أصحاب الملك" لكن المال والملك والقوة لا تدوم، ولا تدفع المنية عن البشر. قال عمرو بن قميئة: (٤١)

قَد كَانَ مِنْ عَسَانَ قَبْلَكَ أَمْ      لَأَكُّ وَمَنْ نَصِرِ ذُوو نِعَمٍ  
فَتَتَوَجَّوْا مُكْرًا لَهُمْ هِمَمٌ      فَفَنُّوا فَنَاءً أَوَائِلِ الْأُمَمِ  
لَا تَحْسِبَنَّ الدَّهْرَ مُخْلِدَكُمُ      أَوْ دَائِمًا لَكُمُ وَلَمْ يَدُمِ  
لِو دَامَ لَتُبَّعِ ذَوِي الْإِ      أَصْنَاعٍ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ

وضرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي المثل بملوك اليمن وعاد وما كانوا عليه من نعيم وملك وجبروت؛ لكنهم بادوا وتحول ملكهم إلى من جاء بعدهم. قال لقيس ابن المكشوح عندما تهدده: (٤٢)

أَتُوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ      بِأَفْضَلِ عَيْشَةٍ أَوْ ذُو نُوَّاسِ (٤٣)  
وَكَائِنُ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمِ      وَمُلْكٍ ثَابِتٍ فِي النَّاسِ رَاسِي  
قَدِيمِ عَهْدُهُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ      عَظِيمِ قَاهِرِ الْجَبَرُوتِ قَاسِي

(٤١) عمرو بن قميئة، الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي، طبعة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٨٩-١٩٠.

(٤٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، شعره، حققه: مطاع الطرابيشي، دمشق ١٩٧٤م ص ١١٧-١١٨.

(٤٣) ذو رعين: أحد ملوك اليمن، ورعين حصنه، ذو نواس: صاحب الأخدود.

فَأَمْسَى أَهْلُهُ بَادُوا وَأَمْسَى يُحَوَّلُ مِنْ أَنْاسٍ فِي أَنْاسٍ

ويرى سليمان بن ربيعة الثعلبي أن الحياة لا لذة فيها ولا نعيم، ما دام الدهر يتحكم في أعمار البشر، وما دامت أمم عظيمة لم تُخَلدَ وزال عنها ملكها ونعيمها، قال: (٤٤)

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ (م) وَالذَّهْرُ ذُو فُنُونٍ  
أَهْلَكَ طَسْماً وَقَبْلَ طَسْمٍ أَهْلَكَ عَاداً وَذَا جُدُونٍ  
وَأَهْلَ جَاشٍ وَمَأْرِبَ بَعْدَ حَيِّ لُقْمَانَ وَالثَّقُونِ (٤٥)  
وَالْيُسْرُ لِلْعُسْرِ وَالتَّغْنَى لِلْفَقْرِ وَالْحَيُّ لِلْمُتُونِ

(٣)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هلاك عاد بالريح، قال تعالى: (٤٦) ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أما الشعراء الجاهليون فنسبوا هلاك عاد إلى (الزمن) و(الحادثات) و(زيب الدهر) و(العول):

قال الأعشى: (٤٧)

أَلَمْ تَرَوْا إِرْمَاءً وَعَاداً أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
بَادُوا فَلَمَّا أَنْ تَادُوا قَفَى عَلَى إِيْرِهِمْ قَدَارُ

(٤٤) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٨م ج ١ ص ١٩٥.

(٤٥) النقون: بنو ثقف بن عاد، اللسان، مادة (تقن).

(٤٦) الحاققة، آية ٦.

(٤٧) الأعشى، الديوان ص ٣٣١.

قال زهير: (٤٨)

ألا لا أرى على الحَوَادِثِ باقيا      ولا خَالِداً إِلَّا الجِبَالَ الرَّوَاسِيَا  
ألم تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَهْلَكَ تَبْعاً      وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بنِ عَادٍ وَعَادِيَا

وقال عدي بن غطيف الكلبي: (٤٩)

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا      وَالذَّهْرُ يَعْدُو عَلَى الْفَتَى جَدَعَا  
كَمَا سَطَا بِالْأَرَامِ عَادٌ وَبِالْـ      حَجْرٍ فَأَرْكَى لِنُبَّعٍ تَبْعَا

وقال رجل من عبس: (٥٠)

ليس امرؤ خالداً والموتُ يَطْلُبُهُ      هَاتِيكَ أَجْسَادُ عَادٍ أَصْبَحَتْ جِيْفَا

وقال أبو وجرة السَّعْدِي: (٥١)

صَبَّيْتُ عَلَيْكُمْ حَاصِبِي فَتَرَكْتُكُمْ      كَأَصْرَامِ عَادٍ حِينَ جَلَّهَا الرَّمْدُ

وقال رُشَيْدُ بنِ رُمَيْضِ العنبري (٥٢):

(٤٨) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢٠٩.

(٤٩) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون ج ٧ ص ٢٥٦.

(٥٠) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٨٨.

(٥١) ابن منظور، اللسان، مادة (رمد).

"مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كَمَا أُوْدَتْ إِرْمٌ".

وقال متمم بن نويرة: (٥٣)

ولقد علمتُ ولا مَحَالَةَ أَنْنِي      للحادِثَاتِ فَهَلْ تَرَيْنِي أَجْرَعُ  
أَفْنَيْنَ عَادَ ثَمَّ آلَ مُحَرَّقٍ      فَتَرَكْنَهُمْ بِلْدَاً وَمَا قَدْ جَمَعُوا  
ذَهَبُوا فَلَمْ أُدْرِكْهُمْ وَدَعَتْهُمْ      غُولٌ أَتَوْهَا وَالطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ

واستغلَّ خِدَاشُ بنَ عَمَلِيَّةٍ إِبَادَةَ عَادٍ فِي تَصْوِيرِ إِبَادَةِ مُرَّةَ وَالْقَبَائِلِ الْمُعَادِيَةِ،  
وَاسْتَنْطَبَ فِي هَذَا التَّصْوِيرِ دَلَالَاتِ الأَلْفَاظِ بِنَحْوِ يُحَدِّدُ تَمَاماً رُؤْيَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ لِهَذَا  
الْحَدِيثِ التَّارِيخِيِّ الهَائِلِ، قَالَ: (٥٤)

عَدَدْتُمْ عَطْفَتَيْنِ وَلَمْ تَعُدُّوا      وَقَائِعَ قَدْ تَرَكْتُمْ حَصِيدَا  
تَرَكْنَا عَامِرِيَهُمْ مِثْلَ عَادٍ      وَمُرَّةَ أَهْلِكُوا إِلَّا الشَّرِيدَا

(٥٢) أبو تمام، ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د. ت) ج ١ ص ١٣٣.

وهذا البيت منسوب إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي، انظر: ديوانه، ص ١٧٢.

وانظر أيضا قول الأفوه الأودي:

فينا معاشر لم بينوا لقومهم      وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا  
كانوا كمثل لقيم في عشيرته      إذ أهلكت بالذي قد سدّى لها عادُ  
أو بعده كقدار حين تابعه      على الغواية أقوامٌ فقد بادوا

عبدالعزیز الميمني: الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ص ٩.

وهذا المعنى مكرر في الشعر الجاهلي، كقول الفُؤدِ الزماني

"لقيت تغلب كعصبة من عاد" وقول الأسود بن يعفر:

"وأسبابه أهلكن عاداً وأنزلت... انظر: شعراء النصرانية ص ٢٤٣، ٤٨٤.

(٥٣) المفضل الضبي، المفضليات ص ٥٣.

(٥٤) خدّاش بن زهير العامري، شعره، صنعة: يحيى الجبوري، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق

١٩٨٦م ص ٤٥.

ويحوّل عديّ بن زيد العبادي فكرة الفناء الذي أصاب الأمم القديمة إلى ألحانٍ  
جنانزية يُعزّي بها البشرية فيما يُشبه المرثاة الإنسانية لكل إنسان يبغى الحياة  
والبقاء خلافاً لسنة الحياة. قال: (٥٥)

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ      ثُمَّ عَادٌ وَمَنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّوُدٌ  
أَيْنَ آبَاؤُنَا وَأَيْنَ بَنُوهُمْ      أَيْنَ آبَاؤُهُمْ وَأَيْنَ الْجُدُودُ  
سَالَكُوا مَنَهَجَ الْمَنَائِيَا فَبَادُوا      وَأَرَانَا قَدْ كَانَ مِنَّا وُرُودُ

وقال عدي أيضاً: (٥٦)

أَبَا شُرَيْحٍ فَلَا تَحْزُنْكَ عِشْرَتُنَا      فَاَلْمَرْءُ زَهْنٌ لَزِيْبِ الدَّهْرِ وَالْحَمَمِ  
إِنَّ الْأَسَى قَبْلَنَا جَمٌّ وَتَعْلَمُهُ      فِيمَا أُدِيْلَ مِنَ الْأَجْدَادِ وَالْأُمَمِ  
مَنْهُمْ رَأَيْتُ عِيَاناً أَوْ تُخَبَّرُهُ      وَمَا تُحَدِّثُ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ  
وَدُونَ ذَلِكَ كَمْ مَلِكٍ وَمَغْبَطَةٍ      بَادُوا وَكَانُوا كَفَيَّ الظِّلِّ وَالْحُلْمِ

ولم يرد في الشعر الجاهلي إبادة عادٍ بالريح إلا في قصيدة لعبيد بن الأبرص،  
قال فيها: (٥٧)

وَخَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ      خِصَالاً أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَقَ

(٥٥) عدي بن زيد العبادي، الديوان، حققه: محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية، بغداد ١٩٨٦م،  
ص ١٢٢.

(٥٦) عدي بن زيد العبادي، الديوان ص ١٧٠.

(٥٧) عبيد بن الأبرص، الديوان، حققه: حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٨.

كَمَا خُيِّرَتْ عَادٌ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً      سَحَابٌ مَا فِيهَا لِذِي خَيْرَةٍ أَنْقُ  
سَحَابٌ رِيحٍ لَمْ تُؤَكَّلْ بِبِلْدَةٍ      فَتَنَزَّكُهَا كَأَنَّهَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ<sup>(٥٨)</sup>

ولا شك أنّ هذه الأبيات صدىً للموروث الشعبي في قصة هلاك عاد، إذ يروى في حكاية الاستسقاء أنّ الله أنشأ سحائب ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، وتؤدي قيل عاد: اختز لنفسك ولقومك. فاختار السحابة السوداء لأنها أكثر مطراً، فلما رآوها قالوا: هذا عارضٌ ممطرٌنا، فأخذتهم صاعقة العذاب ودمرتهم الريح الصرصر تدميراً. ولا استبعد النحل في هذه الأبيات التي لم أجد لها نظيراً في الشعر الجاهلي.

وفسر علماء المسلمين الريح الصرصر العاتية المذكورة في الذكر الحكيم، فقال التبريزي<sup>(٥٩)</sup>: من الرياح الدبور، وهي المذكورة في القرآن، وعنه صلى الله عليه وسلم، قال: "نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور" وفي ذلك يقول أبو شجاع:

إِنَّ الرِّيحَ الذَّرِّيَّاتِ أَرْزَعُ      مِنْهَا النُّعَامِي وَالصَّبَا وَالزَّرْعُ  
ثُمَّ الدَّبُّورُ مَرُّهَا لَا يَنْفَعُ      قَدْ أَهْلَكَتْ عَادَ بِهَا وَتُبَّعُ

ومن (عاد) شهر لقمان الحكيم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وسُميت سورة باسمه، ووصفه الله - تعالى - بالحكمة، وله وصايا في ابنه ذائعة مشهورة<sup>(٦٠)</sup>:

---

(٥٨) الأثق: الإعجاب والسرور، الطلق: سير الليل لورد الغيبة وهو أن يكون بين الإبل والماء ليلتان وبعده القرب.

(٥٩) التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حققه: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٣١٠.

(٦٠) انظر: سورة لقمان، وتفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٩.

وَضَرَبَ الْعَرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْمَثَلَ (٦١). وقالوا إِنَّهُ عُمَرُ حَمْسَمَانَةَ سَنَةٍ وَسِتِّينَ، فَكَانَ عُمَرُ مَضْرُوبَ الْأَمْثَالِ (٦٢).

وَيَذُكُرُ أَهْلُ الْأَخْبَارِ (٦٣). أَنَّ عَادًا أَصَابَهُمْ قَحْطٌ تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ، فَجَهَّزُوا وَفَدَا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ لَقْمَانَ "لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ" وَآخَرُونَ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ نَزَلُوا بِظَاهِرِهَا عِنْدَ بَكْرِ بْنِ مَعَاوِيَةَ زَعِيمِ الْعَمَالِيقِ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَتُعْنِيهِمُ الْجَرَادَاتَانِ، وَنَسُوا مَا جَاءُوا مِنْ أَجْلِهِ ... ثُمَّ خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِمْ سَحَابًا فَاسْتَبَشَرُوا بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ رِيحًا فِيهَا كَشْهُبُ النَّارِ سَخَرَهَا اللَّهُ - عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا، وَكَانَ تَحَلَّفَ مِنَ الْوَفْدِ "لُقْمَانَ بْنُ عَادٍ" الَّذِي لَادَ بِالْكَعْبَةِ وَتَضَرَّعَ وَسَأَلَ اللَّهَ الْخُلُودَ، فَنُودِيَ أَنَّ قَدْ أُجِبْتُ دَعْوَتَكَ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ، وَلَكِنْ اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ عُمَرَ سَبْعَ بَقَرَاتٍ عُفْرٍ فِي جَبَلٍ وَعُرٍّ، أَوْ عُمَرَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ، إِذَا مَاتَ نَسَرَ تَبِعَهُ آخِرٌ، فَاخْتَارَ النَّسُورَ، فَعَاشَ عُمَرُ طَوِيلًا، وَكَانَ آخِرُ النَّسُورِ اسْمُهُ "لُبْدٌ" مَاتَ بِمَوْتِهِ، فَضَرَبُوا بِهِ الْأَمْثَالَ (٦٤).

---

(٦١) في المثل: أحكم من لقمان: مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٢٢، وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٤٠٥، والدرة الفاخرة ج ١ ص ١٦٢.

(٦٢) أبو حاتم السجستاني: المعمرين والوصايا، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ص ٢.

(٦٣) القصة مختصرة بتصريف عن: الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٨-٤٩، والبدء والتاريخ ج ١ ص ٢٨-٣٠، وأخبار الزمان ص ١٠٤ ومروج الذهب ج ٢ ص ٩٢ وجمهرة أشعار العرب ج ١ ص ٢٦، والفاخر ص ٦٨ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢٣، وعيون الأخبار ج ٤ ص ٥٩، ونهاية الأرب ج ١٣ ص ٦٠.

(٦٤) في المثل: "أتى أبدو على أبدو" و"أعمر من أبدو" الدرّة الفاخرة ج ١ ص ١٩٨، ومجمع الأمثال ج ٢ ص ٥١، وتمثال الأمثال ص ٢٣١، وجمهرة الأمثال ج ٢ ص ٧٥ والمستقصى في أمثال العرب ج ٢ ص ٢٥٤.

قال النابغة الذبياني (٦٥):

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَيَاءِ فَالسَّيِّدِ أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ  
أَمَسْتُ خَلَاءً فَأَمَسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَيَّ لُبْدِ

فقد استعمل النابغة هذه الحكاية في تصوير دمار الديار ومحولها وانديثارها، واستقطب في هذا التصوير حكاية لقمان ونسوره، وفعل الزمن وتأثيره في الموجودات، واستطاع أن يحدد زوايا الشعرية لفعل الدهر وسطوته وبطشه معتمداً على الموروث الثقافي من حكاية لقمان ولبداً.

وقال لبيد بن ربيعة العامري (٦٦):

وَلَقَدْ جَرَى لُبْدٌ فَادْرَكَ جَرِيَهُ رَيْبِ الزَّمَانِ وَكَانَ غَيْرَ مُنْقَلٍ  
لَمَّا رَأَى لُبْدُ النَّسُورَ تَتَابَعَتْ رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْزَلِ  
مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانَ يَرْجُو نَفْعَهُ وَلَقَدْ رَأَى لُقْمَانَ أَنْ لَمْ يَأْتَلِ (٦٧)

فالمرء يهزب من الموت لكن الموت يطاردُهُ، ويد المنون تتأله أينما اتجه، وقد أفاد الشاعر من هذه الأسطورة الشعبية ووظفها لخدمة المعنى الذي يقصد إليه، فلبد الذي يمثل الإنسان يرى النسور قبله يهوي الواحد تلو الآخر، ولا يتعظ من غيره

(٦٥) النابغة الذبياني، الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م، ص ١٦.

(٦٦) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، حققه: إحسان عباس، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٢، ص ١٦.

(٦٧) القوادم: مقدم جناح النسور، الفقير: المكسور الفقار، الأعزل من الخيل: المائل الذنب، لم يأتل: لم يفصر في استبقاء النسور والحرص عليها، لكن القدر غلبه.

فِيُحَاوِلُ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ الْمَحْتَمِ، وَأَيَّنَ الْمَقَرَّ مِنْ رَبِّبِ الْمُنُونِ الَّذِي يُطِيحُ بِكُلِّ حَيٍّ.  
وَلُقْمَانَ وَنُسُورَهُ يُقَدِّمُهُمُ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيَّ أَنْمُودَجًا لِمَصِيرِ الْبَشَرِيَّةِ: الْفَنَاءُ الْمَحْتَمِ،  
وَالْمَوْتُ الْمُوَكَّدُ.

وهذه الصورة يكررها طرفة بن العبد، فيقول (٦٨):

فَكَيْفَ يُرَجِّي الْمَرْءُ دَهْرًا مُخَلَّدًا وَأَيَّامُهُ عَمَّا قَلِيلٍ تُحَاسِبُهُ  
أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ النَّسُورُ ثُمَّ غَابَتْ كَوَاكِبُهُ

أَمَّا أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ، فَيَرَى فِي "الْبَدِّ" مَثَلًا لِلصَّدَاقَةِ الْكَاذِبَةِ، وَالخِيَانَةِ مِنْ  
الصَّدِيقِ، قَالَ (٦٩):

خَانَتْكَ مِنْهُ مَا عَلِمْتَ كَمَا خَانَ الْإِخَاءَ خَلِيلُهُ لِبَدِّ

وَاسْتَحَالَ نَسْرُ لُقْمَانَ لَدَى الشَّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ رَمزًا لِلسَّلَامَةِ وَطُولِ الْعُمُرِ،  
وَعِنْدَمَا يَتَنَاوَلُونَ حِكَايَتَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ يَسْتَتِدُونَ إِلَى قِيَمِ بِلَاغِيَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِنَادِهِمْ  
إِلَى قِيَمِ أُسْطُورِيَّةٍ، قَالَ سَهْلُ بْنُ أَبِي غَالِبِ الْخَزْرَجِيِّ يَصِفُ طُولَ عَمْرِ مَعَاذِ بْنِ  
مُسْلِمِ بْنِ رَجَاءٍ (٧٠):

إِنَّ مَعَاذَ بْنَ مُسْلِمِ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عَمْرِهِ الْأَبْدُ

---

(٦٨) طرفة بن العبد، الديوان، حققه: لطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥م،  
ص ١٤١.

(٦٩) أوس بن حجر، الديوان، حققه: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م ص ٢٢.

(٧٠) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٢٣ و ج ٦ ص ٣٢٧.

قد شَابَ رَأْسَ الزَّمَانِ وَاكْتَهَلَ الدَّ (م) هُرُ وَأَثْوَابُ عُمْرِهِ جُدُّ

يا نسر لقمان كم تعيش وكم تَسَحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدُ

\* \* \*

ومَيِّزَ بعض الإخباريين والمُفَسِّرِينَ بين لُقْمَانَ عاد، ولُقْمَانَ الحكيم المذكور في القرآن الكريم، وزعموا أَنَّ لُقْمَانَ الحكيم عاش في عهد النبي داود، قال الجاحظ (٧١) "ومن القدماء مِمَّنْ كان يُذَكَّرُ بِالْقَدْرِ والرياسة، والبيان والخطابة، والحكمة والذِّهَاء: لُقْمَانُ بن عاد، ولُقَيْمُ بن لقمان .. وكانت العرب تُعَظِّمُ شَأْنَ لُقْمَانَ بن عاد الأكبر والأصغر، ولُقَيْمُ بن لقمان في النَّبَاهَةِ والقَدْرِ، وفي العِلْمِ والحِكْمِ، وفي اللِّسَانِ والحِلْمِ، وهذان غير لُقْمَانَ الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المُفَسِّرُونَ".

ويفهم من قول الجاحظ أن لقمان الحكيم هو نفسه لقمان عاد الموصوف بالعلم والحكمة واللِّسَنِ والحِلْمِ والنَّبَاهَةِ. وهذا ما أُرْجِحُهُ، وإن كان المُفَسِّرُونَ ينكرونه.

ويهمُّنا هنا أَنَّ حِكْمَةَ لُقْمَانَ بقيت محفوظة في كتاب إلى مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي حديث سُويِدِ بن الصامت أنه مرَّ بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يُحَدِّثُ أَتْبَاعَهُ، فقال له: لعلَّ الذي مَعَكَ مثل الذي معي، فقال: وما الذي معك؟ قال سُويِد: مجلة لُقْمَانَ (يريد كتاباً فيه حِكْمَةُ لُقْمَانَ) فقال له الرسول: اعْرِضْهَا عَلَيَّ،

---

(٧١) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٤ و٣٦٥، والبرصان والعرجان، حققه: محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٠٢.

فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا لِكَلَامٍ حَسَنٍ، وَالَّذِي مَعِيَ أَفْضَلُ، قَرَّانَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ-  
تَعَالَى- هُوَ هُدًى وَنُورٌ (٧٢).

وزعم وهب بن منبه أنه قرأ من حِكْمَةِ لِقْمَانَ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ بَابِ (٧٣).

وقد جمع أحد العُلَمَاءِ حِكْمَتَهُ وَأَمْثَالَهُ وَأَخْبَارَهُ فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ "أَمْثَالُ لُقْمَانَ  
الْحَكِيمِ" (٧٤) وقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين نماذج من أمثاله وحكمه، قال لابنه:  
أَيُّ بَنِيَّ، إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى السُّكُوتِ (٧٥).

وقال له: يَا بَنِيَّ، إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّكَ إِذَا كَسَلْتَ لَمْ تُؤدِّ حَقًّا، وَإِذَا  
ضَجَرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى حَقِّ (٧٦).

وقال له: ثَلَاثَةٌ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَوَاطِنَ: لَا يُعْرِفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ،  
وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ، وَلَا تَعْرِفُ أَخَاكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ (٧٧).

---

(٧٢) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عبدالسلام هارون، البابي الحلبي، القاهرة ج ٢ ص ٦٨.  
والزمخشري: الفائق ج ١ ص ٢٠٦، واللسان، مادة (جل).

(٧٣) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ): كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار  
المعارف بمصر ١٩٦٩م ص ٢٥.

(٧٤) كتاب المجلة في الأمثال لأبي عبيد (ت ٢١١هـ) ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسه ص ٣٤١،  
ونشر جالان الفرنسي أمثال لقمان سنة ١٧٠٨م ونشر أمثال لقمان الحكيم، جوزيف دير نبورغ، لندن  
١٨٥٠م، وترجمها إلى الفرنسية دي برسفال ١٨١٨م وشريونو ١٨٤٧م ومارسيل سنة ١٧٩٩، ونشرها  
في هولندا المستشرق أريانوس، ونشرها في ألمانيا سنة ١٨٤٣ المستشرق الألماني فرايتاج.

(٧٥) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ٢٦٩.

(٧٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٤.

(٧٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٦ وانظر أنموذجاً آخر في البيان والتبيين أيضاً ج ٢ ص ١٤٩، وروى  
المقري، أبو عبدالله محمد بن أحمد كتاب المختار من نوادر الأخبار، تحقيق: د. أنور أبو سليمان، مؤسسة  
الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٢٥- وصية مطولة للقمان الحكيم. وانظر كذلك غرر الخصائص  
الواضحة للوطواط، دار صعب، بيروت، ص ٨٧.

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى حكمة لُقمان، قال المسيب بن  
عَلَس<sup>(٧٨)</sup>:

ولأنت أبين حين تنطق من لُقمان لَمَّا عَيَّ بالأمر

وقال لبيد بن ربيعة<sup>(٧٩)</sup>:

وأخلف فسأ: لبيتي ولو أنني وأعيا على لُقمان حُكم التدبُّر

وقال أبو قيس بن الأسلت في مدح أبي أحيحة سعيد بن العاص<sup>(٨٠)</sup>:

وكان أبو أحيحة قد علمتم بمكة غير مهتضم دميم  
إذا شدَّ العصاة ذات يوم وقام إلى المجالس والخُصوم  
وكان البخترى غداة جمع يُدافعهم بلقمان الحكيم

ويروون أنَّ زبَّان بن سيار الفزاري رحل مع النابغة الذبياني يريدُ العزوة، فنظر  
وإذا على ثوبه جرادة، فتطير ورجع، ومضى زبَّان وعاد بالغنائم، فقال زبَّان في  
ذلك<sup>(٨١)</sup>:

تخبَّر طيره فيها زيادٌ لتخبِّره وما فيها خبيرُ  
أقام كأنَّ لُقمان بن عادٍ أشار له بحكمته مشيرُ

(٧٨) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٩، وهو منسوب للأعشى، الديوان ص ٣٥١.

(٧٩) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٩. أي في تمثيه وقوله: لبيتي .. ولو أنني.

(٨٠) المصدر السابق، ج ٣ ص ٩٧.

(٨١) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٤٧.

وقد أكثر الشعراء الإسلاميون من ذِكر لُقْمَانَ الحكيم ووصاياه ولسانه  
وفصاحته وحكمته<sup>(٨٢)</sup>:

\*\*\*

وَصَرَبُوا الْمَثَلُ بِأَيْسَارِ لُقْمَانَ، قالوا: هم ثمانية رجالٍ من العماليق (\*)، ما  
فيهم أحدٌ إلا جَمَعَ من الصِّفَاتِ الكريمة أَسْمَاهَا، فيهم الحِلْمُ، والطُّهْرُ، والكَرَمُ. وقد  
اتَّخَذَهُم شعراء الجاهلية رمزاً للِسَمَاحَةِ والرِّياسَةِ والجُودِ وإِغَاثَةِ المُلْهُوفِينَ، والحِلْمِ  
عن السُّفْهَاءِ، قال امرؤ القيس حين نزل على خالد بن سدوس النبهاني<sup>(٨٣)</sup>:

إِذَا مَا كُنْتُ مُفْتَخِرًا فَقَاخِرُ      بِيَيْتٍ مِثْلَ بَيْتِ بَنِي سَدُوسَا  
بِيَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤْسَاءَ فِيهِ      قِيَامًا لَا تُتَارَعُ أَوْ جُلُوسَا  
هُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ      إِذَا مَا أَجْمَدَ المَاءِ القَرِيْسَا

وقال أوس بن حجر: <sup>(٨٤)</sup>

(٨٢) قال الصِّلَتَانِ العبدي: "ألم ترَ لُقْمَانَ أَوْصَى بِنِيهِ ... إلخ" شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٣  
ص ١٢١٠، وقال أبو دلّامة الأُسدي: "فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكلفك لُقْمَانَ الحكيم" ديوانه. تحقيق:  
رشدي حسن، دار عمار ١٩٨٦، ص ٤٢، وقالت ابنة وثيمة بن عثمان: "بلسان لقمان بن عادٍ وفصل  
خطبته الحكيمة" البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٣.

(\*) وهم: بيض وحمة (حممة) وطفيل، ونفافة، وملك (مالك) وشميل (نميل) وفروعة (فرزعة) وعمار.  
(٨٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠ م): الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار  
المعارف بمصر ١٩٦٤ م ص ٣٤٤. الماء القريس: الجامد من شدة البرد.

(٨٤) أوس بن حجر، الديوان ص ٣٣. تخم لحامهم: يدخرونها فتحمّ وتفسد، الصولر: قطع البقر،  
الشول: جماعة الإبل التي ارتفع لبنها عند الحمل أو البرد أو الجوع. وجرت الناقة: لم تنتج.

وفتيان صدق لا تخم لحامهم  
وأيسار لقمان بن عاد سَمَاحَةً  
إذا شُبَّه النَّجْمُ الصَّوَارِ النَّوَافِرَا  
وجوداً إذا ما الشَّوْلُ أَمَسَتْ جَرَائِرَا

وقال طرفة بن العبد<sup>(٨٥)</sup>:

فقداء لبني قيس على  
وهم أيسار لقمان إذا  
لا يلحون على غارمهم  
ما أصاب الناس من سرّ وضُر  
أغلت الشنوة أبدأ الجُرُز  
وعلى الأيسار تيسير العيسر

وإلى أيسار لقمان كانت إشارة النابغة الذبياني في مدح بني عسان، قال<sup>(٨٦)</sup>:

هم الملوك وأبناء الملوك لهم  
أحلام عاد وأجساد مطهرة  
فضل على الناس في اللواء والتعم  
من المعقة والآفات والإثم

وفي الشعر الجاهلي إشارات إلى قصص خرافية نسجها خيال القدماء عن قوم عاد، ولم يبق من هذه الحكايات إلا بقايا متناثرة، كحديثهم عن "كلب طسم" وكانوا يضربون به المثل في مكافأة المحسن بالإساءة، ويزعمون أن طسماً قوم من عاد، انقرضوا، وكان لهم كلب يُحسِنون إليه، وبيالغون في تكريمه حتى إنهم يسقونه

(٨٥) طرفة بن العبد، الديوان، ص ٧٢.

(٨٦) النابغة الذبياني، الديوان، ص ١٠١، وانظر أيضاً قول زهير بن مسعود:

كأنهم عادٌ حلوماً إذا طاش من الجهل القطاريبُ

ومعنى القطاريب هنا: السفهاء الجهال.

يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة. دار الرسالة، بيروت ١٩٨٢م، ص ٩٤.

ومعنى اللأواء في بيت النابغة: الشدة وسوء الحال، والمعقة: عقوق الرّحم.

الحليب أَيَّامَ الْجَدْبِ بينما أولادهم مُسْغَبِينَ، (وقد يكون هذا التكريم من قبيل الطوطمية<sup>(٨٧)</sup> عند الشعوب البدائية) ويزعمون أنّ هذا الكلب قد دلّ بنباحه العدو على مضارب طَسْم، فاستباحوهم وقتلوهم.

وقد أفاد طرفة بن العبد من هذه الأسطورة في تصوير إحسانه إلى ملوك المناذرة ومدحه لهم، وما جَرَّهُ هذا المدح وهذا الإحسان من شقاءٍ ويؤس على فاعله، قال: (٨٨)

هَمُّ عَرَائِي فِي بَيْتٍ أَدْفَعَهُ      دُونَ سُهَادٍ كَشَعْلَةِ الْقَبَسِ  
كُنْتُ لَنَا وَالِدُهُورِ آوْنَةَ      تَقْنُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ  
كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ      يَعْلُهُ بِالْحَايِبِ فِي الْعَلَسِ  
إِنَّ شِرَارَ الْمُلُوكِ قَدْ عَلِمُوا      طُرّاً وَأَذْنَاهُمْ مِنَ الدَّنَسِ  
عَمَرُوا وَقَابُوسٍ وَابْنِ أُمَّهَمَا      مَنْ يَأْتِيهِمُ لِلخَنَا فَمُحْتَبَسِ

ومن بقايا أساطير عاد أن رجلاً من العمالقة اسمه "حِمَار" وقيل "عَيْر" كان له بنون وواد خصيب، فأصابته بنيه صاعقة فأحرقتهم، فَكَفَرَ بالله، وقال: لا أعبد رباً أحرق بني، وكان لا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلا دَعَاهُ إلى الكُفْرِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا قَتَلَهُ<sup>(٨٩)</sup>، فاضربوا بكُفْرِهِ المثل<sup>(٩٠)</sup>. فسَلَطَ اللهُ على واديه ناراً- والوادي في لغة أهل اليمن

(٨٧) الطوطمية: كلمة أجدية من لغة هنود أمريكا، دخلت اللغة الإنجليزية، ويراد بها كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب تربطه بطوطمه، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً، وهو يحمي صاحبه الذي يحترمه ويقده.

انظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، الهيئة المصرية العامة، مصر ١٩٧١.

(٨٨) طرفة بن العبد، الديوان ص ١٦٥.

(٨٩) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كفر).

(٩٠) في المثل: "أَكْفَرُ مِنْ حِمَارِ" الدرة الفاخرة ج ٢ ص ٣٦٧، مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٦٨.

جمهرة الأمثال ج ٢ ص ١٧٧، ولسان العرب، مادة (كفر) و(حمر).

يقال له جَوْف- فأحرقته فما بقي منه شيء، فضربوا به المثل في الإثفار وفي كل ما لا بقيّة له<sup>(٩١)</sup>، وهو الذي عناه امرؤ القيس بقوله من معلقته:<sup>(٩٢)</sup>

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفِرَ قَطَعْتُهُ بِهِ الدُّنْبُ يَعْوِي كَالْخَالِيعِ الْمُعَيَّلِ<sup>(٩٣)</sup>

ورسم القدماء للقمان صوراً أسطورية في عمره الذي امتدّ مئات السنين، وزعموا أنه كان يَنْعَدَى بِجَزُورٍ وَيَنْعَشَى بِجَزُورٍ، وضربوا بِأَكْلِهِ المثل<sup>(٩٤)</sup>. وتخليلوه كبيرَ الجبّة، قوِي البُنْيَة، مُنْجِباً، كبيرَ الرّأس، وضربوا بِرَأْسِهِ المثل<sup>(٩٥)</sup>. قال يزيد بن الصّعق الكلابي:<sup>(٩٦)</sup>

إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءُ بِرَدٍ  
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْآفَاقِ حِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ

ويروون أنّ أُخْتَ لقمان كانت مُحَمِّقَةً<sup>(٩٧)</sup> وكذلك كان زوجها، فقالت لإحدى نساء لقمان: هذه ليلة طُهْرِي، وهي ليلتُك، فدعيني أنامُ في مَضْجَعِك، فإنّ لقمان

---

(٩١) في المثل: "أخلى من جَوْفِ حمار" الدرّة الفاخرة ج ١ ص ١٨٠ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٢٥٧،

وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٤٣٥ والمستقصى ج ١ ص ١٠٩.

(٩٢) الأنيباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٨٠-٨١.

(٩٣) الخليع: المُقَامِر، المُعَيَّل: الكثير العيال.

(٩٤) في المثل: "أكل من لُقْمَان" الدرّة الفاخرة ج ١ ص ٧٤ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٨٦، وجمهرة الأمثال

ج ١ ص ٢٠١ والمستقصى ج ١ ص ٧.

(٩٥) ثمار القلوب ص ٢٥٧.

(٩٦) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٦٧ والبيان والتبيين ج ١ ص ١٩٠.

(٩٧) أي تَلِد الحمقى.

رجل مُنْجِب، فعسى أن يَقَعَ عليَّ فَأُنْجِب. فوقع على أخته فحملت بلُقيْم، وفي ذلك يقول النَّمْر بن تَوْلَب: (٩٨)

لُقَيْمُ بْنُ لَقْمَانَ أُخْتِهِ      وكان ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنَمَا  
لِيَالِي حُمُقٍ فَاسْتَحْصَنَتْ      عليه فَعُرَّ بِهَا مُظْلَمًا  
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ      فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا

ويروى أنَّ لَقْمَانَ بْنَ عَادٍ قَتَلَ ابْنَتَهُ صُحْرًا لِأَنَّهُ كَانَ تَرَوِّجُ عِدَّةَ نِسَاءٍ كُلَّهَا خُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ (٩٩).

وقد أفاد الشعراء من هذه الحكاية في تصوير براءتهم من ذنوبٍ لم يفتروها، فكان جزاؤهم جزاء صُحْر ابنة لَقْمَانَ، قال خفاف بن ندبة: (١٠٠).

وعَيَّاشٌ يُدِبُّ لِي الْمَنَائِمَا      وَمَا أَدْنَيْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ

وقال عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ: (١٠١)

أَتَجْمَعُ تَهْيَامًا بَلِيَلِي إِذَا نَأَتْ      وَهَجْرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمَتْ صُحْرُ

---

(٩٨) النمر بن تولب، شعره، صنعة: نوري القيسي، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ ص ١٠٦-١٠٧.

(٩٩) يبدو أن قصة شهرزاد وشهريار قد استندت في مضمونها إلى هذه الحكاية.

(١٠٠) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢ وثمار القلوب ص ٢٤٥.

(١٠١) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢.

## الخلاصة

(١) حاول هذا البحث تلمس العلاقة بين الشعر الجاهلي والموروث الثقافي القديم في ضوء "قصة عاد" المذكورة في الذكر الحكيم والشعر الجاهلي. وأثبت أنّ الشعراء العرب قد اتخذوا من عاد- اعتماداً على موروثاتهم التاريخية والأسطورية- رموزاً محدّدة كالقَدَم، والأَصَالَة، والمُلْك، والهَلَاك، والزَّمَن، والحِكْمَة، والحِلْم، والجَزَاء.

وقد أفاد الشعراء الجاهليون من هذه الرموز في قصائدهم واستقطبوا معلوماتهم الأسطورية وموروثاتهم الشعبية في الصورة الشعرية.

(٢) أثبت هذا البحث أنّ القصيدة الجاهلية تستوعب الحكايات الموروثة والأمثال والمأثورات الشعبية، وتعتمد "الإشارة و"الرمز" أحياناً بدلاً من التصريح والخطاب المباشر. وتُصهَر فيها الثقافة والأساطير القديمة مع التجارب الشخصية والرؤى الشعرية.

(٣) تأثر الشعر العربي المعاصر بشعراء أوروبا الحديثة في استخدام التراث اليوناني والعالمي وما فيه من أساطير خرافية ورموز للحب والجمال والقهر والحكمة، والخير والشر ... مثل: فينوس، وأفروديت، وكيوبيد، وسيزيف...

وهذا البحث يُدلل على أنّ العرب في الجاهلية قد استخدموا الرموز الأسطورية والتاريخية في قصائدهم قبل شعراء أوروبا، وأنّ ما يُظنّ جديداً في الشعر العربي الحديث، هو في واقعِهِ ليس كذلك.

## المراجع

- الألوسي، محمود شكري - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه: محمد بهجة الأثري. دارالكتب العلمية، بيروت.
- أرسطو طاليس، ١٩٥٣ - فن الشعر، ترجمة: عبدالرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الأصمعي، عبدالملك بن قريب، ١٩٦٧م - الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون. دار المعارف بمصر.
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس ١٩٥٠م - الديوان، حققه: محمد حسين. مكتبة الآداب، مصر.
- امرؤ القيس بن حجر، ١٩٦٤م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.
- الأنباري، محمد بن قاسم، ١٩٦٩ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، حققه: عبدالسلام هارون. دار المعارف بمصر.
- أوس بن حجر، ١٩٦٧ - الديوان. حققه: محمد يوسف نجم. دار صادر، بيروت.
- التيفاشي، ١٩٨٠م - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس. حققه: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر ١٩٦٨م - البيان والتبيين، حققه: عبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي مصر، والحيوان، حققه: عبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي القاهرة. ١٩٨٧ - البرصان والعرجان، حققه. محمد مرسي الخولي. مؤسسة الرسالة، بيروت.

- جواد علي، ١٩٦٨ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت.
- خدّاش بن زهير العامري، ١٩٨٦م - شعره، صنعة: يحيى الجبوري. مجمع اللغة العربية، دمشق.
- زهير بن أبي سلمى، ١٩٨٢م - شرح شعره، صنعة ثعلب، حققه: فخر الدين قباوة. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الزمخشري، ١٩٦٢م - المستقصى في أمثال العرب. حيدر آباد، الدكن، الهند.
- السجستاني، أبو حاتم - المعمرون والوصايا. مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- سحيم عبد بني الحساس، ١٩٦٨ - الديوان، حققه: عبدالعزيز الميمني. دار الكتب المصرية، القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير، ١٩٧٩م - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، وطبعة المطبعة الحسينية بمصر.
- طرفة بن عبد البكري، ١٩٧٥م - الديوان، حققه: لطفي الصقال. مجمع اللغة العربية، دمشق.
- الطرماح بن حكيم، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عزة حسن. طبعة دمشق.
- عبيد بن الأبرص، ١٩٥٧م - الديوان، حققه: حسين نصار. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- عدي بن زيد العبادي، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: محمد جبار المعبيد. دار الجمهورية، بغداد.

- العسكري، ١٩٦٤م - جمهرة الأمثال، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة.
- عمرو بن قميئة، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي. معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
- عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ١٩٧٤م - شعره، حققه: مطاع الطرابيشي. دمشق.
- فريزر. سير جيمس، ١٩٧١م - الغصن الذهبي، ترجمة: أحمد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- القالي، أبو علي، ١٩٧٠م - أفعل من كذا، حققه: محمد الفاضل بن عاشور. تونس.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، ١٩٦٩م - المعارف، حققه: ثروت عكاشة. دار المعارف بمصر.
- لبيد بن ربيعة العامري، ١٩٦٢م - الديوان، حققه: إحسان عباس، مطبعة وزارة الإرشاد، الكويت.
- مجهول - قصة شداد بن عاد. مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة، بغداد رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.
- المرزوقي، أحمد بن محمد، ١٩٦٨م - شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين وعبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- المسعودي، علي بن الحسين - التنبيه والإشراف. مطبعة الصاوي. مصر.
- المفضل الضبي بن محمد بن يعلى، ١٩٧٩م - المفضليات، حققه: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون. دار المعارف بمصر.

- ابن منظور، محمد بن جلال الدين الخزرجي - لسان العرب. الدار المصرية للتأليف، القاهرة.
- الميداني، أحمد بن محمد، ١٩٥٥م - مجمع الأمثال، حققه: محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة السنة المحمدية، مصر.
- النابغة الذبياني، ١٩٧٧م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.
- النمر بن تولب، ١٩٦٨م - شعره، صنعة: نوري القيسي. مطبعة المعارف بمصر.
- ابن هشام، عبدالملك - السيرة النبوية، حققه: عبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- الهمداني، الحسن بن أحمد، ١٩٨٠م - الإكليل، حققه: محمد بن علي الأكوغ. طبعة بغداد.
- ياقوت الحموي، ١٩٦٥م - معجم البلدان. دار صادر، بيروت.